

تفريغ محاضرة

القومية وأثرها على وحدة الأمة الإسلامية

للدكتور هاني السباعي

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ محاضرة

القومية وأثرها على وحدة الأمة الإسلامية

للشيخ / د.هاني السباعي (حفظه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، نثني عليه الخير كله، نشكره ولا نكفره، ونخلع ونترك من يفجره. اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد؛

الإخوة المكرمون، قديمًا قال علماؤنا: "العيون مغارف العلم"، وكنا نتمنى أن تمتلئ عيوننا منكم ويكون اللقاء كفاحًا بيننا وبينكم مباشرة، ولكن الله –سبحانه وتعالى– لم يحرمنا من نعمة التواصل بيننا وبينكم عبر هذا الهاتف، والتواصل القلبي بفضل الله عامر إن شاء الله، وقد يرى القلب ما لا تراه العين أحيانًا.

ونحب أن نشير لحضراتكم أن هناك نَسَبًا موصولًا بيننا جميعًا؛ وهو نسب الإسلام، وهو أعز الأواصر والروابط التي تجمع بيننا، كما نعضد ذلك الرابط برابطة العربية، رابطة اللغة، وهي والحمد لله مشترك بيننا. وهناك رابط طارئ وآصرة عارضة وهي رابطة الغربة التي تجمعنا جميعًا، وقديمًا قال القائل:

أجارتنا إن المـَزَار قريبُ ... وإني مقيم ما أقام عسيبُ

أجارتنا إنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيبُ

إذًا فهي أواصر ونسب متواصل ومُعضَّد والحمد لله.

أما عن محاضرتنا اليوم فسندندن حول القومية وخاصة العربية أو ما يُسمى بالقومية العربية، ولن نخوض فيها من ناحية السرد التاريخي، بل كما قلت سندندن حولها، ونتكلم عن مخاطر هذه القومية على المستوى الفكري والمستوى المعلوماتي والمنهجي لدى هذه الأمة والذي دمَّر هوية هذه الأمة، ونتكلم عن مخاطر هذه القومية التي دمَّرت المستوى الاجتماعي والسياسي لدى هذه الأمة العظيمة.

وقبل أن نتكلم أعرض حديثي بتقدمة بسيطة حتى تستقيم الفكرة، أولًا هؤلاء القوميون يذكِّروننا بقول هذا الرجل الأعرابي الذي دخل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، دعا بعد أن شرع في صلاته رافعًا يديه ويقول: "اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم أحدًا بعدنا أو غيرنا"، فقال له الرسول –صلى الله عليه وسلم–: (قد حَجَّرت واسعًا، أو قد ضيَّقت واسعًا)؛ فهؤلاء القوميون ضيقوا وحجروا واسعًا، أمة عظيمة تعدادها مليار وثلاثمائة مليون يختزلونها في مسألة قُطرية لا تتجاوز ثلاثمائة مليون.

هذه القومية هي لها جذور وهذه نعرات أثارها أعداء الإسلام قديمًا، يعني هذا ليس بجديد، سنتكلم معكم عن المؤسِّس الحقيقي أو متى نشأت هذه الفكرة المدمِّرة لمجموع المسلمين.

لكن هذه الفكرة أيضًا كان أعداء الإسلام يثيرونها حتى في مهد الدولة الإسلامية الوليدة الجديدة؛ هذا رأس النفاق يثير الناس ويثير المسلمين ويثير حفيظة المسلمين في غزوة ماء المُريسيع في بني المصطلق، ويقول الرجل: "يا للأوس، ويا للخزرج، ويا للأنصار، ويا للمهاجرين". وفي نفس الغزوة أيضًا يثير أعداءُ الإسلام هؤلاء المنافقون أو الطابور الخامس أو السادس، هؤلاء أثاروا فتنة عارمة كادت أن تقوِّض دعائم الدولة الإسلامية في مهدها في حادثة الإفك الشهيرة، عندما أثاروا هذه الحادثة وحدث جدل بين المسلمين أحيا فيهم هذا الشيطان ونفث فيهم، هذا يقول لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ: والله إنك لمنافق ولو كان الرجل من الأوس ما قَتَلته، ثم يرد عليه الخزرجي، حتى قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (أفبدعوى الجاهلية وأنا حيٌّ بين ظَهْرَانيكم؟)، حتى استحوا وانْقَشعت الفتنة.

إذًا هذه النَّعرات وإحياء هذه القوميات أو القَبَليّة كانت حتى في بداية الدولة الجديدة، ودائمًا أعداء الأمة متربّصون بها، وأعداء الأمة لا يملّون ولا ييأسون، فهذه الحادثة -حادثة قيام ونشأة القومية العربية- هي تذكِّرنا أيضًا بقومية معكوسة حدثت في أول تاريخ الإسلام وكادت أن تقوّض دعائم الدولة الإسلامية، في بداية الخلافة العباسية وخاصة في أيام الخليفة المهدي وابنه الهادي، هؤلاء الموالي أو الفرس شكَّلوا ما يُسمى بالشُّعوبية والحنين، وتمجيد عرق الفرس وأنهم أفضل من العرب، وهنا أطلَّت الزَّندقة وأطلَّت هذه القومية على حساب العرب.

كانوا لا يستطيعون أن يسيئوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مباشرة، ولكن الخليفة المهدي فطن إلى ذلك وعرف أن الطعن في جنس العرب والطعن في العرب هو طعن في رسول العرب وهو عربي -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك تصدّى بحزم لهذه القومية الجديدة؛ لأن الإسلام جاء ليصهر هذه العصبيات وهذه القوميات في بوتقة واحدة تُسمى الإسلام، ولذلك لما قال الله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} اللهُ يخاطب الإنسانية ويخاطب البشرية بأنّ هذه كلها مصهورة في بوتقة اسمها الإسلام، والدليل على ذلك أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يبين أنه لا حصانة لعربي ولا لعجمي إلا بالتقوى، لا فضل

لعربي على أعجمي ولا أحمر على أبيض ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى، هكذا كان المقياس ولذلك قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: (سلمان منا آل البيت)، وسلمان كان رجلًا فارسيًا.

حتى إن الإسلام أزال هذه العصبيات التي كان العربي القديم لا يقبلها، كان هؤلاء قديمًا يقول كما قال قائلهم:

لا يسألون أخاهم حين يَندُبُهم ... في النائبات على ما قال برهانًا

كانوا يتقاتلون لمجرد أن الرجل كان من نفس القبيلة سواء كان هذا القاتل ظالمًا أو مظلومًا، وكانت القبيلة ذات الشرف كانت تطالب القبيلة الضعيفة بأن الرجل إذا قُتلت منهم امرأة يطلبون رجلًا في مقابلها، وكانوا يشتطّون لدرجة –كما تعلمون– الحروب التافهة التي استمرت أكثر من أربعين سنة مثل حرب البَسُوس وغيرها.

هذه الحروب وهذا الرّمم التاريخي، وهذه الرّمم أحيتها القومية الحديثة أو ما يسمى القوميُّون، أحيوها من جديد بحجة أن العرب كانوا ذوي حضارة وكانت لهم سيادة وكان لهم تاريخ قبل الإسلام، يقصدون ذلك قبل الإسلام. رغم أن الله –سبحانه وتعالى– يُكذِّب هذه الدعوة ويدحضها؛ انظر إلى قول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}، الله حكم وقال: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} فأي حضارة يقصدون؟ وكان هؤلاء في أعين الفرس والروم وحتى الصين وغير ذلك من الحضارات القديمة كانوا ينظرون إليهم باحتقار، وكان أقصى ما وصل إليه العربي من ترف ومن زخرف كان ترفًا خشنًا ترفًا بسيطًا، هؤلاء المَنَاذِرة الذين كانوا عملاء أو كانوا عينًا للفرس، وهؤلاء الغَسَاسِنة الذين كانوا أيضًا عينًا يحمون قوافل الروم، هؤلاء كانوا يحمونهم من بني جلدتهم، وكان هذا أقصى أنهم في نعال الأمم، وكانوا عبارة عن خدم وعبيد لما يُسمى بهذه الإمبراطوريات الكبيرة في ذلك العصر.

ما هي الحضارة؟ اذكروا لنا مثالًا قبل الإسلام أنكم حررتم حصنًا أو دولة أو فتحتم مدينة عظيمة! هؤلاء القوميون يكذبون على أنفسهم ويكذبون بل ويلفّقون ويزوّرون التاريخ.

تجد الخطر الذي ابتُليت به هذه الأمة من هؤلاء القوميين تجد هذا الخطر على المستوى التعليمي والمستوى الفكري، وقبل أن ندخل على هذا المستوى نحب أن نتكلم عن نشأة هذه القومية لكي تستقيم الفكرة أمامكم.

أولًا بالنسبة لهذه القومية أو ما يُسمى بظهور هذه القوميات؛ ظهرت هذه القوميات أو الشعار الجديد ظهر أصلًا في أوروبا، واختصارًا للوقت فإن هذا الشعار جاء باعتبار أن معظم الجالية في استراليا –ما شاء من اللبنانيين– فكان حامل مشعل هذا الشعار هم من مسيحيي لبنان، أو بالأحرى سوريا ولبنان في هذه الفترة، ولكن معظمهم كانوا يسكنون في لبنان في هذه الفترة التاريخية.

هؤلاء أيضًا جاءوا مع سماح السلطان العثماني الذي خرَّب الدولة العثمانية وهو السلطان محمود، الذي كان في فترة محمد علي باشا، هذا السلطان سمح بدخول الإرساليات والسفارات الأجنبية والتبشيرية في العالم الإسلامي، وطبعًا المؤامرات كانت على قدم وساق في جسد هذه الدولة المريضة وكلٌّ يتآمر عليها وعلى تقويضها، فلما سمح لهم هذا السلطان بهذه الامتيازات أنشأوا إرساليات تبشيرية وخاصة في سنة ١٨٢٠ تحديدًا دخل البروتستانت الأمريكان وهم مجموعة من المبشِّرين، أنشأوا إرسالية أو مدارس تبشيرية لتعليم العهد القديم والعهد الجديد لتنصير المسلمين، كان الهدف منها تنصير المسلمين، ولأن معظم من هاجروا وسافروا من مسيحي لبنان لما سافروا إلى أمريكا كانوا غالبًا لا يعودون، فهؤلاء المبشِّرون القساوسة قالوا إننا لا نستفيد من هؤلاء إذا سافروا إلينا فلا بد أن ننشئ لهم كليات ومعاهد علمية، هذه الكليات والمعاهد العلمية تكون في أصل العالم الإسلامي وأصل العالم غير المسيحي لكي يساعدونا ويسهّلوا علينا المهمة؛ لأنهم يتكلمون بلغة القوم ولتكون المسألة حلية لهم وليوجِدوا جيلًا جديدًا يستطيع أن يقوم بمهمتهم في تنصير المسلمين.

وهكذا قامت فعلًا الإرساليات وقاموا أولًا هذه المدارس التبشيرية وخاصة في النشاط، نلاحظ أن الذي حمل عبئ هذا هم البروتستانت الأمريكان، نعم إنجلترا وفرنسا في سوريا لوحدها في هذه الفترة تقريبًا على ما وصلنا سنة ١٩١٢ تقريبًا كان حوالي أكثر من أربعين مدرسة تبشيرية موجودة في سوريا ولبنان، كل هؤلاء من جميع دول أوروبا ومن أمريكا، من أسكوتلندا ومن إنجلترا ومن فرنسا ومن هولاندا، كل دول العالم المسيحي كلها

فتحت مدارس في هذه المنطقة، ورغم اختلافاتهم المذهبية وتنافسهم أيضًا إلا أنهم اتفقوا جميعًا على تنصير المسلم وعلى تدمير دين الإسلام من خلال إيجاد هذا الجيل الذي يتكلم اللغة العربية.

وهنا أنشأوا في هذه الفترة الكلية الإنجيلية في سوريا، والتي صارت فيما بعد تُسمى الجامعة الأمريكية، هذه الكلية كانت في بدايتها كانت في بدايتها إذا أراد مسلم أن يلتحق فيها لا بد أن يذهب إلى الكنيسة لأنه كان فرض على كل طالب أن يدرس في الكنيسة ويستمع إلى المحاضرة سواء العهد القديم أو العهد الجديد يستمع في الكنيسة، يذهب بنفسه إلى الكنيسة، ثم استمر هذا حتى حدث تمرد لما ازداد عدد الطلبة واضطروا بعد ذلك إلى أن قالوا أن المسلم لا يذهب إلى الكنيسة ولكنه فرض عليه أن يُمتَحن في العهد القديم والعهد الجديد.

وهكذا صارت هذه المدارس هي مِعول هدم وتَفريخ لمجموعة من الذين تصدروا الحياة العلمية في العالم العربي والإسلامي، ونشروا هذه الأفكار التي تُسمى بالأفكار القومية؛ لأنهم لا يستطيعون مقاومة الإسلام بالمعنى العام، ولكنهم اخترعوا هذه الفكرة نظرًا لوجود الاختلافات وظهور ضعف الوازع الديني في العالم الإسلامي من الناحية الإسلامية، والدولة العثمانية صارت دولة مريضة ودولة هزيلة، والجهل كان يعُمّ العالم الإسلامي فاستغل هؤلاء هذا التعليم والاستعمار الموجود في المنطقة أن تولوا مناصب التدريس ومناصب التعليم ومناصب الصحافة والإعلام، وظلوا ينشرون هذه الأفكار بقولهم إن الإسلام هذا دين وافد غريب على المنطقة، هو جاء كأي ديانة أخرى جاءت في المنطقة، فالقومية أو العربية هذه هي وحدة لغة ووحدة أرض ووحدة تاريخ، أما الدين هذا فهذا الدين جاء مرة كان في ثوب الوثنية ومرة جاء في ثوب اليهودية ومرة جاء في ثوب المسيحية ثم جاء في ثوب الإسلام.

إذًا فالقومية قبل هؤلاء جميعًا هي التي تصهرهم جميعًا، كما أن القومية العربية كانت لها حضارة وأن العرب لهم حضارة، وأن الذي صنع الحضارة ليس المسلمون وحدهم بل هناك أيضًا المسيحيون شاركوا أيضًا في صنع هذه الحاضرة، وهنا دخل على الخط أيضًا الضعاف أو العقليات المهزومة من المسلمين الذين أيضًا شاركوا في هذا الشعار المدمر، فظهر لهم راهب القومية العربية الشهير "ساطع الحُصَري" الذي استطاع في كتابه (العروبة أولًا) أن يؤصِّل ويقعِّد وينظِّر ويدافع، بل إنه كان يفتي أحيانًا ويقول ويرد على فقهاء الإسلام هكذا بدون أثارة من

علم، وصار معبود القوميين ثم جاء من بعده "مشيل عفلق" وصارت هناك أصنام لهذه القومية أو لهذا الدين الجديد.

هذه خلاصة القومية أنها جاءت مع هؤلاء المسيحين، واقرؤوا إن شئتم كلام الرجل المسيحي لبنان الأصل هو كان كاثوليكيًا الدكتور فيليب حتّي وأخوه حبيب حتّي كان راهبًا أيضًا، كل هؤلاء أصلهم قساوسة، كان كاثوليكيًا تحول من الكثلكة إلى أن صار بروتستانتيًا بعد أن ذهب إلى أمريكا، ثم حمل مشعل هذه الدعوة التبشيرية وظل القساوسة، قساوسة الغرب وقساوسة الشرق يعملون على قدم وساق في جميع ربوع العالم الإسلامي، حتى إنهم أوجدوا مدرسة تبشيرية في إسطنبول نفسها وفي سوريا وفي القاهرة، وفي مدينة حلوان أيضًا أنشأوا مدرسة تبشيرية، وكل هذا الهدف منه تنصير المسلمين، ولما عجزوا اخترعوا هذه الشعارات التي كانت شائعة في أوروبا.

وأنتم تعلمون أن فكرة القومية في أوروبا أيضًا -لتبسيط المسألة- ظهرت مع وجود الدول القوية، هكذا الدولة القوية تأكل الدولة الضعيفة بحجة القومية أو تضمها إليها، إذًا لو كانت الدولة القوية قوية أيضًا لما استطاعت ولما تكلموا عما يُسمى القومية، هذه القوميات ظهرت نظرًا لوجود دول قوية كانت تبتلع الدول الضعيفة، ولذلك كان هناك بعض الدول تختفي من الخريطة أحيانًا في التاريخ القديم بسبب ما يُسمى بهذه القوميات، إذًا هذه القومية هي الهدف منها ضرب الإسلام العريض العالم الكبير هذا.

وانظر إذا شئت إلى هذه القومية أيضًا في صورتها الأخرى، هناك رجل أيضًا أضرَّ بالمشروع الإسلامي رغم أنهم كانوا يمجّدونه في كتب الدراسة ويقولون عنه حامل مشعل الثورة الكبرى والثورة العربية هو الشريف الحسين بن علي، هذا الرجل كان طامعًا غادرًا غدر بالعثمانيين وشعر أن العثمانيين سيضعفون وأن الدولة ربما ستنهار فإنه تقرب إلى الإنجليز لأن الأتراك كانوا حلفاء مع الألمان والألمان أعداء للإنجليز، فتقرب الرجل إلى الإنجليز بحجة أن يعينوه حاكمًا أو خليفة في المستقبل لمنطقة الحجاز وسوريا والشام والعراق، كل هذه المنطقة يكون هو حاكمًا لها، وفي الآخر كما تعلمون فُضح المشروع باتفاقية سايكس بيكو وجاءه الصدر الأعظم في تركيا، والبلاشفة في سنة ١٩١٧ نشروا الوثيقة الخطيرة التي تخدع هذا الرجل، ورغم ذلك يأتي بالوثيقة بعد أن نشروا له الوثيقة، قال: يذهب إلى السفير البريطاني هل هذا صحيح ما جاء في هذه الوثيقة؟ أنتم خدعتمونا؟ أنتم

قسَّمتم العالم الإسلامي بينكم وبين فرنسا وروسيا (روسيا القيصرية)؟ وإذا بالسفير يستخفّ به ويقول: "ليس على هذه الطريقة، نحن لنا تأويلات هم فهموها خطأ"، وهكذا العرب دائمًا لكي تتصوروا العقلية العربية حتى لما صاروا يدعون إلى مجد عربي وضحك عليهم الإنجليز وأفهموهم أنهم أمجاد وأنهم صناع حضارة خُدعوا أيضًا وخدعوهم ودمروهم حتى لم يعطوهم ما كانوا يتمنون من قبل.

هذا الرجل أضرَّ أيضًا وسبب في هزيمة الأتراك وسبب في أن الدولة العثمانية عُجِّل بنهايتها، وهذا الرجل بالعكس هو الذي أطلق أول رصاصة ليجرّئ القبائل؛ القبائل العربية في الحجاز ما كانت تجترأ على القيام بأي عمل ضد هؤلاء العثمانيين المسلمين، ولكنه أطلق هذه الرصاصة وقتل مسلمًا، فالأتراك كانوا مسلمين، وقتل الجنود الأتراك وأمر بقتلهم وهو يعلم أنهم مسلمون وكان في حلف مع الإنجليز.

وقديمًا قال الشاعر:

وأحيانًا على بكر أخينا ... إذا لم نجد إلا أخانا

فأحيانًا هذا العربي القديم كان يُغير على أخيه وكان يقتل أخاه؛ لأن طريقتهم السلب والنهب وهكذا، ولكنهم كانوا أحيانًا لأنهم لا يريدون أن يكون ساكتًا هادئًا فإنه كان يغير على أخيه وكان يقتله، ولكن هذا كان يقوله العربي قديمًا قبل الإسلام: "وأحيانًا"، أما الآن فنقول: "ودائمًا" على بكر أخينا، تجد كل هذه العنجهية وهذه القوة وهذه الغطرسة، تجدها دائمًا على بني جلدتنا، هذه دولة تقاتل أخرى، وهؤلاء المسلمون يقاتلون المسلمين على حدود مصطنعة وعلى أشياء تافهة، وعلى نعرات كاذبة، كل هذا بسبب غياب الوازع الديني والرابطة الدينية السليمة.

لأنهم قالوا الإسلام من القومية العربية، هو دين تراث ورثناه، يعني كأنها تركة في المشروع الإسلامي فهو مشروع ضمن التركات التي يرثونها عن آبائهم إذًا فالإسلام هذا ميراث.

وبسبب هذه ضعف الوازع الديني لدى الشبيبة ولدى الناس، ما أهم شيء اعتمده هؤلاء القوميون؟

اعتمد هؤلاء القوميون المنهج التعليمي، ودخلوا واخترقوا المنهج التعليمي وخربوا في بنية الأمة بل إنهم اغتالوا عقول أجيال كثيرة بسبب هذا التخريب التعليمي، تجد أنهم على سبيل المثال دائمًا يعظّمون الجاهلية ويغضون

الطرف عن الإسلام. مثلًا كانوا لما يدرِّسوننا؛ انظر إلى كتب الأدب وكتب اللغة العربية تجد دائمًا يُقدِّمون ويبرزون شعراء الصعلكة، هؤلاء الشعراء الصعاليك العرب وكانوا يتكلمون عن تأبط شرًا ويتكلمون عن شعراء الناقة وعن شعراء الأطلال ويمجّدونهم لدرجة أنهم أفضل وأحسن وأنهم أصحاب خُلق، وعندما يتكلمون عن الأخلاق كانوا أحيانًا يتكلمون عن المروءة وغير ذلك وأنها أفضل مما جاء به شعراء الإسلام.

عندما يتكلمون عن حسان بن ثابت –رضي الله عنه– يتكلمون عنه قبل الإسلام وبعد الإسلام، قبل الإسلام كان شاعرًا فحلًا كبيرًا، ولكن بعد الإسلام ضعف شعره، لماذا؟ لأن الشعر لا يعرف الأخلاق ولا يعرف الصدق من الكذب، وهكذا الشعر بدون قيمة؛ فكانوا دائمًا يقدمون هؤلاء الشعراء ويقدمون شعراء الجاهلية على شعراء الإسلام.

حتى إنهم عندما كانوا يتكلمون عن شعراء الإسلام في صدر الإسلام وغيره ما هو البارز في الشعراء؟ يأتون بنقائب جرير والفرزدق، والنَّقيبة هي قصيدة يردّ بها الشاعر على خصمه في قصيدة أخرى من نفس المعاني ونفس الوزن ونفس الرَّوْي وغير ذلك، هذه مجموعة من الشعراء يشتمون ويهجون بعضهم فكانوا يقدِّمون هذا الشعر على شعر الفضائل، رغم أننا لو قارنا الشعر الإسلامي في صدره وفي الدولة الأموية والعباسية الأولى نجد أن هذا العشر وهذه اللغة وهذا الأدب تحوَّل من شاعر كان كل حياته أنه بارع في وصف القوس، وهذا بارع في وصف الخيل، وهذا بارع في وصف الأطلال، فأي قيمة هذه؟ لكن بعد ذلك غيره الإسلام فصار الآن هناك مشاريع وموضوعات وأهداف جديدة واسعة، الشاعر الآن لم يعد يمجِّد ذاته ولم يعد يهتم بنفسه ولا بقبيلته على حساب دينه، بل إن هناك من يتكلم عن وصف الحروب العظيمة وعن أهداف الإسلام العظيمة ويصفون المعارك ويتكلمون عن المصطلحات التي دخلت جديدة وعرفها العرب وصارت لها قداسة في الإسلام كمصطلح الجهاد وغير ذلك.

فهذه الأشياء ذات القيمة حوَّلوها لنا، صرنا لا نعرف إلا شعر أبي نواس وشعر بشار بن بُرد وشعراء المجون والخلاعة، هكذا خرَّبوا، وجعلونا عندما نتكلم عن الأدب العربي أو نتكلم عن الأدب –سموه أدبًا عربيًا طبعًا– وتكلموا على هذا الأدب دائمًا يقدمون أدب الجاهلية، وإذا تكلموا عن الأدب الإسلامي دائمًا يأتون بالساقط ويأتون بهذه الخلاعة، واقرأوا إن شئتم كتبهم في تحقيقات كتب (الأغاني) وغيرها، وكتب هؤلاء الشعراء وبن أبي

ربيعة، كل هذا المشروع التدميري هدفه هز صورة النمط أو الأنموذج الإسلامي العظيم في صورة الشبيبة، عندما أقرأ أنا وأنا شاب صغير أو فتى صغير، عندما يقرأ أن شاعر الجاهلية كانت عنده مروءة، يقول عنترة:

وأغضُّ طَرْفي إنْ بَدَت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

إني امرؤ سمح الخليقة ماجد ... لا أُتبعُ النفس اللَّجوج هواها

ثم يتكلمون فنجد شعراء المجون وشعراء الخلاعة كحمَّاد عجرد وابن عبد القدوس، كل هؤلاء شعراء الزندقة وغيرهم يُقدَّمون، إذًا شعراء الجاهلية والجاهلية كانت أخلاقها كانت أفضل مما جاء به الإسلام. هذه هي الخلاصة الجاهلية أفضل من الإسلام، وأن العرب أسبق من الإسلام، والإسلاميون هؤلاء الذين جاءوا حتى كتبوا الشعر العربي فإنهم هؤلاء ما جاءوا إلا بالرذائل وأحيوا النعرات الجاهلية القديمة، هكذا يريد هؤلاء لا يبرزون الخير في أمتنا ولا يبرزون إلا الشر.

هؤلاء لو فطنوا إلى ما يقولون فإننا سنجد شيئًا عجيبًا، إنهم يهاجمون ابن خلدون في مقدمته لأنه تكلم عن حقيقة العرب، ابن خلدون حتى لا ينخدع أحد، لأن هناك بعض المسلمين ينخدعون في نقد ساطع الحصري على ابن خلدون في نقده للمقدمة، وكثير من العلماء العروبيين ينقدون هجوم ابن خلدون ويصفونه بالهجوم على العرب، وابن خلدون يتكلم عن طبيعة العربي البدوي القديم، كانوا بحق هكذا همجًا رعاعًا، وكانوا لا يُغيرون على دولة قوية، وكانوا هكذا يعيشون على السلب والنهب، هكذا {وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} فالله –سبحانه وتعالى- بيَّن أن هؤلاء كانوا هكذا وهذا حالهم، فابن خلدون يصف حالة العالم العربي وطريقة العربي البدائي في حربه ومأكله ومشربه فإذا بهم يهاجمون ابن خلدون، وفي نفس الوقت يعظِّمون ابن خلدون ويقولون أن الحضارة العربية أنجبت ابن خلدون، وابن خلدون رجل بحَّاثة عربي، أنتم تقولون إن ابن خلدون أصله بربري، فما الذي قدم ابن خلدون في التاريخ؟

الذي قدم ابن خلدون في التاريخ هو الإسلام، وابن خلدون لولا الإسلام لما تقدَّم ولا عرف الناس به ولا بغيره، ابن خلدون لما ذهب إلى مصر ذهب كعالم مسلم رجل صاحب وزارة –أو غير ذلك- وعُيِّن في القضاء فقد

كان قاضيًا في أيام ابن حجر العسقلاني، فهذا الرجل ابن خلدون قُدم في القضاء، فلو كان الأمر أنه بربري أو بمثل هذه النظرات والنعرات ما تقدَّم مثل هذا.

هل يتخيل أحد أن رجلًا كان عبدًا حبشيًا وكان يقول عنه إبراهيم الحربي: "كان أنفه كأنه باقلاء"؛ أي كأنه حبة فول، يقول ذلك في عطاء بن أبي رباح، هذا العالم الزاهد الكبير، وكان هذا يجلس في الحلقة بعد ابن عباس، يعني تخيل أن هذا الرجل كان في المدينة يفتي وفي حلقة كبيرة وكانت له الصدارة رغم أنه عبد حبشي، يأتيه سليمان بن عبد الملك ليستمع إليه ويجلس عنده، حتى إنه يدير له ظهره ولا يسأل فيه لأنه مشغول في أشياء أخرى، هذا عبد حبشي مولى، تحوَّل إلى سيد في تاريخ الإسلام بسبب ماذا؟ لو أنه كان حبشي أو أن المسألة كانت مسألة قوميات ونعرات لما تقدَّم هذا وما اجترأ مثل هذا على خليفة قرشي عربي يحكم المسلمين ويحكم العالم الإسلامي ويحكم عالمًا كبيرًا، هو ويزيد بن أبي حبيب، كل هؤلاء كانوا مواليًا ولكنهم كانوا سادة، وابن سيرين كان هكذا، كل هؤلاء كانوا موالي والحسن البصري أيضًا، والعلماء الذين نفتخر بهم جميعًا.

ويقولون هذه الحضارة العربية أنجبت الخوارزمي، أي حضارة عربية التي أنجبت الخوارزمي؟! إذا كان الخوارزمي أصله ليس عربيًا، بل من خوارزم، كيف تقولون إن الحضارة العربية هي التي أنجبته؟! لو قلتم إنها الحضارة الإسلامية لصدَّقناكم لأن الإسلام هو الذي أنجب هؤلاء، هذا صاحب علم الجبر الشهير العالمي لكن هم يقدِّمونه ويزيِّفون التاريخ على أنه عالم عربي، هو ليس هكذا هو رجل مسلم، الحضارة الإسلامية رفعته ولولا الإسلام ما ارتفع.

هكذا، وعلماء كثيرين حتى البخاري وغيره ومسلم وهؤلاء الأئمة العظام الذين حملوا وحافظوا على الإسلام هؤلاء ليسوا عربًا أصلًا، تجد هؤلاء أيضًا يزيِّفون التاريخ، حتى التاريخ الظاهر للعيان أمام الناس، هكذا تجد هؤلاء القوميِّين بعد أن انهزموا هزيمتهم الساحقة تاريخيًا يقولون إن صلاح الدين العربي، صلاح الدين صاحب الحروب العربية ضد الحضارة الصليبية حتى في كتبهم يقولون هكذا، أي حضارة عربية! ما كان صلاح الدين عربيًا، صلاح الدين يعلم الجميع أنه كردي وأبوه أصلًا وُلد في قرية في أذربيجان، فأي عربية هذه؟!

وقوّاد صلاح الدين وأسد الدين شيركوه هذا القائد العظيم الذي فتح الفتوحات مع سيّده نور الدين زنكي هؤلاء ما كانوا عربًا، بل إن منهم من لم يُحسن العربية أصلًا، كانوا يتكلمون بلكنة أشبه باللكنات الأعجمية، وكانوا يجتهدون لتعلُّم العربية، ورغم ذلك هم الذين حافظوا على لحُمة الأمة ووحدة الأمة. من الذي تصدى لهذا المجموع الصليبي أو هذه الهجمة البربرية الصليبية على العالم الإسلامي؟ هاتوا لنا قائدًا عربيًا قام بهذا المجموع، الذي قام هو صلاح الدين الأيوبي.

هذه الأسماء التي كانت عالية وقواد صلاح الدين معظمهم، هذه الأسماء معظمها والذين حققوا نصرًا مؤزرًا على الصليبيين في موقعة حطين، هؤلاء كان معظمهم من الأكراد ومعظمهم من أفغانستان، ومعظمهم من الأتراك كانوا هكذا خليط من الأجناس هناك، وبلاد ما وراء النهر، هؤلاء لو كانوا عربًا، هل صلاح الدين كان عربيًا وجاء بهذا المشروع العربي؟! لولا الدين الإسلامي الذي كان يحمله صلاح الدين ما استطاع صلاح الدين أن يحرز نصرًا.

نور الدين وآل زنكي، عماد الدين ووالده آق سنقر، هؤلاء أصلًا هذه الأسرة التي يُعتبر صلاح الدين الأيوبي ثمرة من ثمرات هذه الأسرة المباركة، أسرة آق سنقر وهي أسرة عماد الدين زنكي، هذا الرجل عماد الدين زنكي وابنه نور الدين زنكي هؤلاء الذين جاءوا بمشروع لتحرير العالم الإسلامي بعد هذه الدويلات، الدولة التي خرَّبت الإسلام الدولة العبيدية التي استمرت قرنين من الزمان لا تقاتل إلا أهل الإسلام.

والصليبيون لم يدخلوا أصلًا بلاد الإسلام إلا في عهد وزارة بدر الدين الجمالي العُبيدي، وفي أيام المستعلي، هؤلاء جميعًا تحالفوا مع الصليبيين لوقف المد السُّني السُّلجوقي، هذا هو التاريخ، لا بد أن يعلم الناس أن هناك تحالفًا عُبيديًا كان في هذه الفترة بين الصليبيين على أن يعطوهم بعض السواحل وبعض الأماكن إلى حدود عكا، أما القدس كانت تظل تحت العبيدين، ولكن الصليبين لما علموا ضعف هذه الدولة دخلوا فعلًا واحتلوا القدس في الحملة الصليبية الأولى.

هذا الذي حمل المشروع كان رجلًا مخلصًا صاحب دين، بعد مائة سنة من الذي حمل أيضًا المشروع ضد بربرية وحشية تترية ضد التتار والمغول من الذي أوقفه؟ تُرى كان سيف الدين قطز والظاهر بيبرس كانوا يتكلمون

العربية ويحسنونها؟! إننا نقرأ في كتب التاريخ أنهم كانوا يحبون العرب ويحبون الإسلام، مهما كانت هذه النعرات، ولكنهم لم يكونوا يحسنون الكلام باللغة العربية، كانوا يقرِّبون العلماء ولكنهم قاموا بالدفاع عن هذا الدين ضد هذه الهجمات، بل إن أوروبا وإن الغرب لمدين لهؤلاء المماليك الذين أوقفوا هذا الزحف البربري الهمجي التتري.

من الذي قام يا تُرى؟ اذكروا لنا مثالًا أن عربيًا من بني يعرُب أو من قحطان قام بمثل هذا، الذين يتشدَّقون بما يُمسى بالقوميات والقومية العربية وغير ذلك، من الذي قام بمثل هذه المشروعات العظيمة؟ تُرى من الذي طرد آخر جندي صليبي وآخر جندي تتري في العالم الإسلامي؟ هم هؤلاء الذين يُكتب ضدهم التاريخ بأنهم همج وأنهم جهلة وأنهم استعمروا العالم الإسلامي، هؤلاء المماليك، الأشرف خليل قلاوون هو الذي طرد هؤلاء جميعًا، طُردوا في وقت متقارب، ما كانوا يحسنون العربية وما كانوا يتكلمونها كلامًا كما يظن الناس، ولكنهم كانوا يحبون العربية ويحبون الإسلام، والذي جعلهم ينتصرون هو الإسلام.

نعطي في سبيل المقابل لما حمل مشعل القومية العربية وقالوا إن الإسلام هو الذي سبب كل البلاء، جاءنا صاحب المشروع، القومية العربية كانت هكذا تتأرجح بين الكتابات والأفكار المشؤومة وهؤلاء الرجال الذين أُعِدّوا على أعيُن الاستعمار حتى جاء بطل القومية العربية جمال عبد الناصر، وماذا فعل؟ أقزمت الأمة كلها وتدمرت وتم تدمير الأمة، وبالعكس تعالى واستعلى الكفر على أهل الإسلام بسبب هذا الرجل. وإننا لنعجب كيف يصفق الناس لجلَّاديهم؟!! هذا الرجل يحملون صوره رغم أنه هو الذي تسبَّب في كل هذه الهزائم. انظر ماذا فعل:

- صاحب القومية العربية يحقق نفسه؛ مال إلى المشروع الاشتراكي، دخل في مشروع الاشتراكية لتكون بديلًا.
- قسم الناس إلى طبقات؛ فصار هناك طبقات الأغنياء وطبقات الفقراء والبروليتاريا والبرجوازية.
- ثم أراد التوحُّد مع سوريا، فدخل مشروع سنة ١٩٥٨ في التوحيد والناس كانوا يظنون به خيرًا، ورغم ذلك لما دخل في مشروع الوحدة مع سوريا حدثت الكوارث والمصائب واستغلال الثروات وتعيين الرجل غير المناسب، هو نفسه كان غير مناسب أصلًا في مكانه، ورغم ذلك تمت القطيعة والثورة عليه وطرده وطرد مُشيره حاكم سوريا في ذلك الوقت؛ لأن التوحد كان على بيت وآصرة هشة، وكما قال الله

تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

[**انقطاع جزئي في الشريط**].

أو نصارى الشام، ماذا حدث؟ هناك تشرذموا في مصائب في الأمة وتشرذمت الأمة بسببهم، لما ظهر الدعاء إلى جنس العرب وإلى أن العرب هم أفضل من العثمانيين وأن العرب هم أصحاب المجد وأن هؤلاء دخلاء هم والمماليك، وبصراحة الذي أدخل هذا كان في المشروع الأول لنابليون لما دخل مصر هو الذي بدأ هذا وبيّن للمصرين أنهم هم مركز الكون، وهذه المقولة التي يقول عنها المصريون إن "مصر هي أم الدنيا"، هذه الفكرة زرعها نابليون في منشوره الأول؛ أنكم مركز الحضارة وأنكم أصل الثقافات وأصل المعرفة وأصل العلوم، هكذا زرع فيهم، فتولد عند نفر من المصريين ما يُسمى بالشفونية المصرية وتمجيد العنصر المصري، حتى ذكرهم بالرِّمم القديمة وهي الفرعونية وغير كذلك.

ماذا فعل هؤلاء القوميون؟ جاءتنا وتولَّد من خلال هذا سلخ شيطاني من هنا وهناك، لما ظهرت لنا القومية العربية وظهر أناس يدعون إلى العرب، فإذا بالأتراك في هذه الفترة يقولون إذا كنتم أنتم تمجّدون العرب وتريدون الوحدة العربية فإذًا نحن نمجد الطُّورانية والعرق التركي الأصلي، ورجعوا إلى أمجادهم، وتاريخهم القديم وجاهليتهم القديمة، فظهرت القومية الطورانية. لدرجة أنهم كانوا يتعاملون مع الإيرانيين أيضًا بهذه الطريقة، يقولون له أنت إيراني وأنت فارسي، ولذلك ظهرت القومية الفارسية ردًا على القومية العربية. ثم ظهر في شمال الأقصى في شمال المغرب العربي وإذا بهذه المنطقة تظهر وتطل برأسها نعرة البربرية؛ إذا كنتم أنتم تمجّدون كل شيء للعرب والعرب هم صناع كل شيء، إذًا البربرية لا حصة لهم ولا نصيب لهم في هذه القسمة هي قسمة ضيزى، فلا بد نحن أننا لنا مجد أيضًا ولنا تاريخ جاهلي كبير أيضًا، فأطلت البربرية برأسها أيضًا في منطقة شمال المغرب العربي.

وإذا بجنوب السودان حتى هذه القوميات التي لم يُذكر لها ذِكر في التاريخ أطلت القومية الزِّنجية ردًا على القومية العربية، قالوا أنتم في الشمال تمجّدون العرب نحن أيضًا زنوج ولنا تاريخ في الزِّنج، وحتى هؤلاء الذين يرجعون هم مسلمون ولكنهم يحنّون وأثارت القومية العربية نعرات في العالم الإسلامي. وأقوى هذه النعرات كانت في منطقة

الأكراد، طبعًا ظلموا الأكراد وتعامل معهم على أنهم مجموعة كردية لا حق لهم ولا شيء لهم، فإذا بها تطل القومية الكردية برأسها أيضًا إلى وقتنا الحاضر، وتجد أن أكرادًا يكرهون أصلًا جنس العرب، لدرجة أن منهم من يكره حتى الإسلام، رغم أن اسمه محمد.

ولكن هكذا هذا الشعار اللعين، شعار القومية العربية فرّق الأمة ودمَّرها وإلا قبل أن تسقط الخلافة الإسلامية رسميًا أو العثمانية رسميًا، كل هذه البلاد كانت متوحّدة وتحت راية خليفة واحد رغم ضعفه ورغم هشاشته ورغم أي شيء، ولكن كل هذه القوميات كانت منصهرة وكانت راضية؛ وكانوا راضين لأن الرابطة التي كانت تربطهم كانت رابطة دينية. ولذلك لما أرادت إنجلترا أن تخلع يديها من مشاكلها بسبب الحرب العالمية الثانية من فلسطين ماذا فعلت؟ مهَّدت لها بطريقتها المعهودة، لأنها تعلم أن العالم الإسلامي سيثور لما تُعلن دولة فلسطين، فإذا بهم في ١٩٤٨ قاموا باختراع فكرة "الجامعة العربية"، وقام النَّحاس باشا بهذه المبادرة، وما أكثر هذه المبادرات الساقطة، تواصوا به!، تاريخ هكذا تأتي لنا هذه الزعامات المهزومة دائمًا التي لم تحقِّق نصرًا في تاريخ الأمة أصلًا، فهؤلاء دائمًا يأتون بمبادرات، جاء النحاس باشا وهو صنيعة الإنجليز إذا به يأتي بمبادرة لوحدة العرب، ولماذا تضيِّق واسعًا يا رجل؟ وحدة العرب أم وحدة المسلمين؟!

وصدق فيهم كان رجل هناك في سنة ١٩٦٤ كان رئيس وزراء شمال نيجيريا كان رجل اسمه أحمد ديلو، هذا الرجل لما جاءوا إلى ترميم قبة الصخرة قال لهم: "لو دعوتم العالم الإسلامي لجاءكم ستمائة مليون مسلم بدلًا من ستين مليونًا"، في وقته كان تعداد العالم ستمائة مليون وما يزيد قليلًا والعالم العربي كله تقريبًا كان ستين مليونًا، قال لهم لو أنكم دعوتم باسم الإسلام لجاءكم ستمائة مليون، هو يقصد في هذا أنهم لما جاءوا ينادون دائمًا يقولون: العرب هم الذين سيحرِّرون فلسطين، فلسطين عربية، فلسطين للعروبة، العروبة هي فلسطين، يأتون إلى المحافل الدولية، ولما أنشأوا هذه الجامعة وأنشئت رسميًا وأعلنوا ميثاق جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥، لم تفعل شيئًا لقضية فلسطين إلا عبارة عن الحضور في المحالف، وفي سنة ١٩٤٨ والحرب على قدم وساق، والمؤامرات على قدم وساق أيضًا وهذه الجامعة لا تملك إلا صوتًا كما يقول القائل: "نسمع جعجعة ولا نرى طحنًا"!، فهؤلاء لا يتكلمون، حتى هذا الكلام فهم لا يحسنونه.

فانظر لما دخلوا في محفل الجامعة في أحد المؤتمرات العالمية في هيئة الأمم المتحدة، ماذا يقولون؟ فلسطين عربية، العروبة وفلسطين، قالت لهم وفود الدول الأخرى من تركيا وإندونيسيا وماليزيا وباكستان وهذه الدول، قالوا لهم: إذًا أنتم لا تريدون منا مشاركة؟ إذًا أنت ستخسر مددًا عالميًا، مددًا شعبيًا إسلاميًا، وهذا ما نجح فيه هؤلاء فعلًا، ماذا فعلوا لـمّا رفعوا راية القومية العربية؟ ضاع كل شيء، ضاعت فلسطين، وما كان هؤلاء اليهود يحلمون في يوم من الأيام أن يتوسّعوا هكذا، وإذا بهم يأخذون على طبق من فضة كما يُقال أو من ذهب يأخذون في هزيمة نكراء، هزيمة العالم أو هزيمة المشروع القومي العربي في ١٩٦٧ إذا بهم يحصلون على ما لا يتخيّله أحد، هذه الأراضي المحتلّة حتى الآن، وهم الآن -كما تعلمون- يفاوِضون على أشياء مضحكة، وأصل قضية فلسطين الآن تُختَزل في أراضي محتلة وعِزَب صغيرة وكُنتنات صغيرة، أما أرض فلسطين العظيمة التي بارك الله ما فيها وما حولها، حتى هذا المسجد بأرضه وشجره ونهره ونخيله وبرتقاله وكل هذه الأراضي المباركة فهم تخلوا عنها أصلًا، هؤلاء هم القوميون الذين يريدون أن يحرروا بلاد فلسطين، لم يحرروا أرضًا، ولما دخلوا معركة انهزموا فيها.

انظر لما حاولوا أن يستغلوا شعار الدين انتصروا نصرًا محددًا بخيانة معينة، في ١٩٧٣ في حرب العاشر من رمضان انتصروا لما رفعوا راية (الله أكبر) ودخل الجندي المصري والسوري ودخل بعض الجنود العرب في هذه الفترة تحت شعار الإسلام رغم أن القيادة لا دخل لها بالإسلام، ورغم ذلك حققوا نصرًا لولا الخيانة كما تعلمون، إذًا شعار العربية هذا وشعار تمجيد الجنس العربي هذا ما أفلح أبدًا.

وما هو شعار هؤلاء القوميون؟ شعارهم كما تعلمون: "الدين لله والوطن للجميع"، ما معنى هذا؟

هذه مقولة في منتهى الخطورة هي نفس مقولة: "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، هي نفس مقولة: "فصل الدين عن الدولة"، هذه هي مقولة العلمانية، هذه هي مقولة الوطن للجميع والدين لله، يقول لأن هناك بعض المسيحيين موجودين وبعض غير المسلمين في العالم الإسلامي فنريد أن نترك الدين والناس وشؤونهم، أما الدين فلا يحكم في أي شيء. يعني من أجل ثلاثة في المائة من عدد المسيحيين مثلًا في مصر وفي سوريا وفي لبنان كل هذا العدد رغم أنه قليل ولا تصدقوا هذه الإحصائيات المزورة رغم كل هذا تريد ٩٦% من المسلمين لا يطبِّقون تعاليم دينهم ويتنازلون عن دينهم وعن أن يحكموا به من أجل حفنة قليلة؟! حتى بهذا المنطق الذي ينادون به الديمقراطية والغالبية فهو حق المسلمين وهو نظامهم العام أن يحكموا بدينهم، حتى في هذا هم غير صادقين.

قالوا: الدين لله والوطن للجميع، وإذا كانوا صادقين فلماذا تتدخلون -إذا كانت المسألة هي الدين لله، لماذا تتدخلون في تخفيف المنابع؟ لماذا تتدخلون في حذف الآيات القرآنية عن التدريس في المدارس؟ أكثر من أربعة عشرة برنامجًا مثلًا في مصر في قناة القرآن الكريم تم حذف هذه البرامج لأنها في نظرهم تحضّ على التديُّن، روح التدين هذه لا يريدونها، هذا مشروع العرب هؤلاء العروبيُّون أو القومية العربية هذا مشروع تخريبي تدميري.

انظر ماذا فعل؛ تسببوا في هزيمة فلسطين وسحقها وذل فلسطين، بل إنهم حاصروا فلسطين أيضًا، هؤلاء حماة العروبة وحماة القومية، وأيضًا منعوا المدد والتواصل مع العالم الآخر، انظر لما جاءوا برجل مسؤول من كشمير قديمًا، لماذا أنتم لا تندِّدون دائمًا بفلسطين ولا تتعاملون مع قضية فلسطين؟ ماذا قال الرجل؟ قال: نحن نتعامل ونمدكم دائمًا ولكن انظروا ماذا فعل عبد الناصر، وقف ضدنا، وضد حريتنا مع الهند، وحالف نيهرو ضد المسلمين، وكان الهنود والهنادكة والهندوس كانوا يذبحون المسلمين ويقتِّلونهم ويأتي عبد الناصر للصحف الغربية والعالمية ويقول إن الهند دولة عادلة وأحكامها عادلة، ويقف ضد هذا المشروع، ضد مشروع الدولة الإسلامية.

ماذا قدم رجل القومية هذا؟ لا يأتي إلا وراء كل هزيمة أو كل ما لا نفع فيه، تحالف مع الروس ودمروا المسلمين والولايات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر ودمروها عن بكرة أبيها وكان يحالفهم، وكان حليفهم دائمًا مع المشروع التخريبي ضد المسلمين.

انظر ماذا فعل لما دخلوا، تحالف مع الحبشة مع هايله سيلاسي لما ضمَّ أريتريا ومعظم سكان أريتريا كانوا مسلمين، ورغم ذلك لم يندِّد ولم يتكلم ولم يأمر حتى مشيخته بالدعاء للمسلمين في أريتريا.

وانظر أيضًا لهذا الرجل بطل القومية العربية في اليمن بعد أن فشل في سوريا، أراد أن يعيد أمجاده الذاتية بإيعاز إما من الأمريكان أو من الروس، دخل بحجة نجدة الثوار قلة من الانقلابيين العملاء، دخل لمساعدتهم واحتل بلدًا عربيًا، هو رجل صاحب القومية العربية إذا به يحتل دولة عربية!، كانوا يقتِّلون الشعب العربي، شعب العرب! يقتلون اليمنيين يضعون الحلوى المسمومة لأطفال اليمن، وكانوا يضعون بعض المتفجرات في الساندويتشات وغير ذلك للأطفال، هذا هو عبد الناصر زعيم القومية العربية! كان أيضًا هذا الرجل تسبب في مقتلة عظيمة للجيش المصري في هذه الفترة.

أنت صاحب مشروع فاشل ومهزوم دائمًا، تذهب إلى اليمن في هذه الفترة، لماذا لم تذهب بجنودك هذه إلى فلسطين وهي بجوارك؟! هؤلاء الآلاف من الجنود المصريين انظر ماذا فعل: استغل الدين أيضًا وجعل شيخ الأزهر يفتي فتوى لما تململ الناس في مصر ودأبوا على أن الذي يحدث مقتلة عظيمة فقال الناس هناك والعلماء أن هذا القتال حرام لا يجوز قتل المسلمين في اليمن وأهل اليمن أهل إسلام ولا يجوز قتالهم ولا قتلهم، فخرج شيخ الأزهر بفتوى أن جهاد الجنود المصريين في اليمن هو جهاد في سبيل الله ويحرم من يقول غير ذلك، وهم شهداء، من يقتل منهم شهيد!!.

انظر هذا التدليس والتزوير التاريخي لبطل القومية العربية! ظلَّ من سنة ١٩٦٢ في مستنقع اليمن، ثم حدثت الهزيمة النكراء له في ٦٧ وضاع كل شيء وضاعت البلاد وضاع العباد وباعوا الأراضي وانتُهك عرض فلسطين بسبب هذا الرجل، ولكنهم يمجّدونه!

بدَّد ثروات الأمة في أفريقيا وفي حروب الكونغو، تمجيدات ذاتية، وهناك تحالفه مع يوغسلافيا وغير ذلك، دائمًا مع كل خاسرة ومع كل مصيبة يتحالف معهم، حتى إن الصين عندما كانوا يدمرون المسلمين في تركستان وغيرها كان يتحالف معهم ضد المسلمين.

إذًا أي قومية وأي عربية لهذا الرجل؟! هذا الرجل وأمثاله جلبوا لنا العار والشنار في الأمة، ورغم هزيمتهم السياسية إلا أنهم ورَّثوا لنا أشياء في القاموس الإعلامي في منتهى الخطورة، هذه الأشياء ترى أن البلد الواحد تجده منقسمًا على نفسه، تجد أهل الجنود يعيِّرون أهل الشمال، وأن أهل الشمال ناس متفتّحون، وأن أهل الجنوب ناس منغلقون، وهذا صعيدي، وهذا بحري، وهذا لبناني جنوبي، وهذا لبناني بيروتي، وهذا شمالي..، هذه التقسيمات الموجودة هؤلاء أهل المشرق وهؤلاء أهل المغرب وكل واحد له فضيلة عن الأخرى، وهذه النعرات التي أحيوها، تجد الاحتفالات والتمجيدات، وليتهم يحتفلون بهذا بل تجد العجب، أنتم تتكلمون عن العربية فلماذا تُحيون نعرات الفراعنة؟! الفراعنة ما كانوا يتكلمون العربية، إذا كنتم تحبون العرب وتنشرون كتب العرب لماذا تنشرون وتمجدون هذه الأعياد وهذه المناسبات كيوم وفاء النيل وهذه الفرعنة المنتشرة في القاموس الإعلامي مثلًا المصري؟ هذه الفينيقية التي يقولون لأهل لبنان أنتم فينيقيّون، يبترونهم ويخلعونهم ويسلخونهم عن أصلهم

الإسلامي ويقولون لهم أنتم فينيقيّون، لمّا يجدوا لبنانيًا ناجحًا يقولون أصله فينيقي والفينيقيّون كانوا تجارًا بارعين، فالرجل حتى لو كان مسلمًا فإنه يطيب إليه هذا ويركن إلى هذا القول استحسانًا أن أصله فينيقي.

هذه الدعاوى هي دعاوى خبيثة للطعن في الإسلام وإحلال ولاءات محل ولاء الإسلام العظيم، فيجب أن ننتبه جيدًا لهذه الدعاوى، ولذلك هذا أصله بابلي وهذا أصله آشوري وأصله كلدانيّ وهذه أصلها كذا. حتى المسلم أحيانًا يقول أنا أصلي كنت آشوريًا أو كلدانيًا، ونحن الذين اخترعنا الكتابة المسمارية والفينيقيون هم أصل كذا وكذا، هذه النعرات لهؤلاء أحياها العروبيّون، وأحياها هؤلاء القوميون.

بل إن منهم من انشقّ عن هذه العروبة وصار يمجّد القُطر، كما في حزب القوميين السوريين لأنطون سعادة الذي مجّد القُطرية السورية، وسوريا في نظره هي أم الدنيا، وهي سوريا بلبنان، ثم ظهر حزب الكتائب ضده سنة ١٩٣٦ وصارت حرب بينهما، هذا يمجد اللبنانية وهذا يمجد السورية، وهكذا. هذه النعرات لا دخل للإسلام بها، هي نبت شيطاني أصلًا.

بل العجب العجاب في هؤلاء أنك تجدهم مثلًا يتكلّمون أن اللغة العربية هي العمود الفقري للقومية العربية، هذا حسن، ولكنكم ماذا تفعلون؟ انظر كانوا قديمًا في مقرّرات قبل أن يحكم هؤلاء القوميون العالم الإسلامي كانوا يأتون بكتب الأطفال باللغة العربية الفصحى، كانوا يأتون بنماذج وقصص جميلة شيقة من التاريخ الإسلامي، وتُكتب وتُبسَّط للشبيبة وللأطفال الصغار، انظر لما أمسك هؤلاء أصحاب المشروع القومي الحكم ماذا فعلوا؟ تجد أن كتب الأطفال التي تُؤلف وكتب الشباب يكتبونها بالعامية الركيكة، العامية المُبتَذلة سواء العامية في مصر أو العامية في لبنان أو في سوريا أو في الجزائر أو في المغرب، تجد عامية ركيكة هي الخطاب العام للناس.

حتى في بعض الكتب عندهم أنهم أحيوا الكتابة بالعامية، إذًا العمود الفقري هو اللغة العربية، فلماذا تمجدون العامية التي لا توحّدكم؟! بالعكس لو تكلم اللبناني بلهجته، وتكلم المصري بلهجته، وتكلم الجزائري بلهجته لن نتفاهم، بل إن رابط التفاهم بين هؤلاء جميعًا هو اللسان العربي السليم. حتى لا يفهمنا بعض الناس خطأً أننا نريد الناس أن يتكلموا بطريقة الشَّنْفرة، ويتكلموا بشعر الشَّماخ -رضي الله عنه-، ولكن نريد أن نتكلم اللغة

العربية السهلة ولا داعي من هذه اللهجة المبتذلة المبالغ فيها، لدرجة أن بعض اللبنانيين الشوفينيّين وخاصة من نصارى لبنان أو المسيحيين اللبنانيين يقولون إنها ليست لهجة إنها لغة، يصرّون على هذه العامية اللبنانية، ويقولون عنها لغة، ويصرّون على ذلك، هذه اللغة لم نرَ مُكتشفات اكتُشفت بالعامية، لم نرَ ترجمة تُرجمت بالعامية، ولم نرَ قاموسًا كُتب بالعامية. كل هذه المترجمات وأدوات العلم حتى العلم الحديث كلها تُكتب بالعربية الفصحى رغم أنوفهم؛ لأن عاميتهم ناقصة وقاصرة، هذا يجب علينا، نحن نعتزّ بلغتنا، نعتز بعربيتنا، ولكن هذه العربية لا قيمة لها إذا كانت ضد الإسلام وإذا كانت ستحل محل ولاء الدين.

انظر إلى العربية التي يتكلمونها، تجد كتبًا تُكتب يقولون: لا نريد أن نكتب كتبًا لا يفهمها الناس، يا سيدي الإمام الشافعي الذي تُوفي في سنة ٢٠٤هـ كتب كتاب (الرسالة)، وكتاب (الرسالة) لو لم تضع اسم الشافعي –عليه رحمة الله– ربما كتبت اسم رجل حديث لظنّ الناس أنه مؤلَّف حديث، هذا الرجل كتب كتابًا سهلًا اسمه (الرسالة) وهو في أصول الفقه، أما من جاء بعده من العلماء لما اتّخذ بعض المسلمين طريقة علم الكلام وأسلوب غليظ الكلام ووحشي الألفاظ، قارن بينه وبين كتاب (المُستصفى) للإمام الغزالي المتوفَّى سنة ٥٠٥هـ، تجده كتابًا صعبًا في طريقة التراكيب اللغوية رغم أن الشافعي أسبق منه، إذًا مسألة تيسير اللغة وتسهيلها، وهذا قرآن الله تعالى، هذا الكتاب الذي بين يدينا الآن، انظر إلى هذا الأسلوب السهل الجميل الذي يفهمه الناس، وهذه كتب المفسِّرين تفسّر هذه الألفاظ لا تجد وحشي الكلام ولا غريب الكلام.

نحن نحب العربية ورسولنا –صلى الله عليه وسلم– عربي وقرآننا عربي، ولكن يجب أن ننتبه جميعًا أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– بيَّن لنا أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ونبين لكم أيضًا –حتى لا نطيل إن كان الوقت تجاوزني أو تجاوزته فأرجو أن أُنبَّه–.

أريد أن أقول لكم وخاصة من أهم قضايا القومية العربية التي هي في ضمير الأمة كلها ودائمًا يُرفع هذا الشعار لكل من هبَّ ودبَّ وخاصة القوميون هؤلاء يرفعون لواء الدفاع عن فلسطين، اعلموا جميعًا أن فلسطين ما كان لها هذا الشأن إلا بالإسلام، هؤلاء يضحكون على أنفسهم يقولون بيت المقدس، القدس، الصخرة المقدسة، الذي رفع وبنى هذا عبد الملك بن مروان هو الذي أنشأ ذلك، هذا المتوفى سنة ٨٦هـ، هذا الرجل في الدولة الأموية، بالإسلام أصلًا الذي بنى قبة الصخرة العظيمة هذه وهذا المسجد مسجد قبة الصخرة ثم المسجد

الأساسي، لولا زيارة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولولا فتح عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في سنة ١٥هـ لهذه المدينة ما أخذت هذه المكانة إلا بالإسلام، فالإسلام وحده هو الذي حرَّر هذه البلاد، الإسلام وحده هو الذي فتحها، باسم الإسلام وحده تم حفظ العُهدة العمريّة على مدار أكثر من اثني عشر قرنًا، فلا بد للناس أن يعلموا.

لما دخل العرب أو ما يُسمون بالعروبيين هؤلاء الذين لا دين لهم ولا خلاق ولا أخلاق لهم، ضيعوا فلسطين، وضيعوا أراضٍ كثيرة، ولم يستردّوا شيئًا، هم ظلوا في الحكم منذ فترة طويلة حتى الآن، من وقت أن غابت شمس الإسلام حتى وقتنا الحاضر لم نرَ عروبيًا ولا عربيًا ولا قوميًا حرَّر دولة حتى الآن من التي اغتُصبت، لن يحرر ولن يقوم بهذا المشروع إلا الإسلام، والإسلام وحده.

وأنبه على إخواننا جميعًا يجب علينا أن نتخلى عن هذه الروابط الجاهلية التي أحيانًا تثير الفتن بيننا، عندما يتخاطب اثنان: لبناني مع صومالي مثلًا أو مصري أو جزائري ترى أحيانًا يدخل الشيطان فينزغ بين الناس فهذا يمدح نفسه أنه يفهم أكثر من غيره، نحن المصريون الذين بنينا الهرم، نحن أصحاب الحضارة، نحن أصحاب كذا، ثم يرد عليه الآخر لا بل نحن أسبق منكم وأفهم منكم أنتم الذين ضيّعتمونا، أنتم كنتم تعيشون في ذلك، هكذا دعاوى جاهلية نحن بربر ونحن فينيقيّون ونحن هكذا، نحن نقول كما قال القائل:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

فلا بد أن ننتبه، ولا بد أن نركّز جميعًا على هؤلاء الذين يقولون إن الوحدة العربية هي التي ستحرر فلسطين، هؤلاء أصلًا هم الذين يبيعون فلسطين، هؤلاء أصلًا هم الذين يتآمرون على فلسطين، قلنا لهم: خلّوا بين الشعوب وبين فلسطين، والله لو خليتم بين الشعوب وبين فلسطين لما اجترأ هؤلاء شُذَّاذ الأفكار أن يسكنوا ولقضضنا مضاجعهم، ولعرفوا أن هذه الأرض التي تدرّ عسلًا ولبنًا ستدر عليهم حنظلًا ومرًا وعلقمًا، لو خلّيتم بين الشعوب، اتركوا هذه الشعوب وارحلوا ولا تكونوا حواجز ولا موانع أمام تقدم شعوبكم.

وأختم كلامي هذا بمعذرة أقدمها إلى فلسطين كما قال القائل:

فعذرًا فلسطين إن شطَّ شعري ... وغاب القريظ وبُحَّ الوترْ

فأنت القصيد وأنت الحداء ... وأنت النفيسة بين الدُّررْ

وما كان صَمِيتي عن غفلة ... ولا عن تراخٍ ولا عن ضجرْ

ولكنّ شعري وزّعته ... بشتى القضايا وشتى الصورْ

فلست الوحيدة بين الأمور ... التي أشغلتنا طوال العمرْ

قضايانا زادت بهذا الزمانِ ... تداعت علينا بغاة البشرْ

قضايانا هذه مطروحة ... على مجلس الأمن قيد النَّظرْ!

نبذنا الشريعة فانتابنا ... ضياعٌ لَعَمري ألا نَعتبرْ؟!

فأين البواسل من أمتي ... وأين الوليد وأين عمر؟

فمهلًا فلسطين مهما بدا ... لعينك هذا الطريق الوعرْ

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ومعذرة إن كنت قد أطلت عليكم.



جزاكم الله خيرًا، وأحسن الله إليكم، وجعل ما قلتم في موازين حسناتكم.

شيخنا عندنا بعض الأسئلة:

نقدم أولًا الأسئلة المتعلقة بالموضوع:

- أخونا يسأل يقول: جزاكم الله خيرًا على هذه المحاضرة وجعلها في ميزان حسناتكم، من الملاحظ أن القومية العربية كتيار فكري قد تقهقر وربما السبب الرئيسي هو تمام الصحوة الإسلامية المعاصرة التي

عمّت جميع البلدان العربية وغيرها، والسؤال هل ترى أن الصحوة الإسلامية بمفكريها قامت بالدور الحقيقي في محاربة التيار القومي؟

إجابة الشيخ: جزاك الله خيرًا على السؤال القيم، أريد أن أنبه على أن هذه القومية، لأن هناك بعض الناس يتكلمون في بعض الفضائيات ويقولون إن القومية انحسرت أو أن الصحوة الإسلامية كانت رد فعل لهزيمة القومية في مشروعها السياسي، الصحوة الإسلامية مجازًا هذا الاصطلاح أو المشروع الإسلامي أو النهضة الإسلامية، هذه ليست ردّ فعل للقومية؛ لأن المشروع قبل حتى أن يعتلي القوميّون الحكم، يعني لما بدأ المشروع بعض الذين حاولوا أن يجدِّدوا رغم تحفظاتنا عليهم مثل الأفغاني والشيخ محمد عبده وغيرهم، هذا المشروع قبل أن تقوم للقومية قائمة أصلًا، لما قام الشيخ حسن البنا أيضًا كان قبل القومية، قبل هذا المشروع أصلًا، يعني مشروع تجديد هذا الدين كان في ظل مقاومة وجهاد الاستعمار في العالم الإسلامي، هناك هجمة صليبية كانت في العالم.

وطبعًا هؤلاء القوميّون لما حكموا كان العدو الأول لهم هم هؤلاء الذين يريدون عودة المسلمين إلى الإسلام وعودتهم إلى دينهم فحاربوهم بقوة، فهنا تمسّك الشباب بدينهم وهنا ظهرت بين حين وآخر وبين فينة وأخرى هامش ما يُسمى بالحريات التي يطلقونها؛ لأن الإسلام مفطور به الشعوب وهو دين فطري لدى الشعوب فهو ليس من كوكب آخر، هو من نفس هذا الشعب، ولذلك لما يقتلون جيلًا ويسجنونهم أو يضيقون عليهم يظهر جيل آخر، وهكذا، هذه الصحوة لأنها مَفْرَزة ومَفْرَخة من الإسلام الأم الأساسي.

أما القوميون هؤلاء بعض العلماء المسلمين تصدوا لهذا المشروع من الناحية الفكرية، هناك أولًا بعض العلماء الذين قاموا بالتصدي قديمًا لهذا المشروع وهذه الفكرة الخبيثة، وكانت بصفة خاصة حتى لن نقول من العلماء فقط، يعني بعض علماء الأزهر تصدّوا لهذه الفكرة قديمًا، مثل الشيخ شمس الدين الإمبابي وغيرهم رغم أنهم كانوا أشبه بالصوفية، ولكنهم تصدّوا لهذه الفكرة، ثم نجد بعض الناس الذين أنشأوا أحزابًا مثل مصطفى كامل رغم أنه كان مولعًا بالمصرية والمصريين وعاشقًا لما يُسمى المصرية، ولكن الرجل كان ينطلق من منطلق ديني، من منطلق ولائه لدولة الخلافة الإسلامية، ولذلك تصدّى وكشف عوار هذا المشروع الضيق لأحمد لطفي السيد والذي يُسمى أستاذ الجيل، هم يمجّدون هؤلاء الأصنام دائمًا، أحمد لطفي السيد هو صاحب مقولة: "مصر

للمصريين، وما هؤلاء العرب ما استفدنا بهم؟"، حتى هذا انظر للعربية لما أطلَّت وهذا المشروع لما أطل ولَّد أيضًا الحنين إلى القطرية الضيقة.

فإذًا هناك مشروع ممتد وكتابات رائعة كُتبت، لكن المكينة الإعلامية لسدنة الحكم وهؤلاء المتربعين على عروش العالم الإسلامي، هؤلاء دائمًا يُعتِّمون على هذه الكتب، من الذي يعرف في العالم الإسلامي إلا فئة مثقفة مثلًا كتب الدكتور محمد محمد حسين (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) و(حصوننا مهددة من داخلها) إلا فصيل إسلامي معيّن أو بعض المثقفين، هذه الكتب، وكتب مصطفى صادق الرافعي الذي سخر من هؤلاء القوميين والعروبيين في (وحي القلم) وغيره، هذه الكتابات وكتابات كثير من العلماء في هذه الفترة، وبعض المجلات بصراحة مثل (مجلة الاعتصام) و(الدعوة) و(المختار الإسلامي).

في فترة معينة دخل الناس في رد وكانت هناك حرب أدبية كبيرة جدًا في مسألة القومية، وبصراحة الأدباء والشعراء وأهل الأدب بصفة خاصة من أهل الإسلام هم الذين كشفوا لحن القول وبيّنوا عوار هذا الفكر وقوّضوه ودمروه، نحن نريد المزيد طبعًا، ونريد نشر مثل هذه الكتب التي تكلمت عن الانحرافات في هذا الفكر، ولكن لا توجد لهم فرصة حتى من الناحية الإعلامية، هات لنا قناة مثلًا حتى التي تُسمى باسم إسلامي لا يسمحون إلا لذرّ الرماد في العيون، والله أعلم.

- **جزاكم الله خيرًا، شيخنا هذا السؤال يقول فيه أخونا: ما هي الطرق والوسائل لمحاربة القومية في عقول شبابنا الذين يردّدون أن من ينادي بالإسلام ويحارب القومية هو إنسان رجعي متخلف لأنه لا يرى إلا نفسه ولا يريد وضع يده في يد المسيحي لبناء دولة عربية؟**

إجابة الشيخ: دائمًا هذه من الشبهات التي يلقيها القوميون، ومن شاء فليقرأ كتاب (العروبة أولًا) لساطع الحصري، وهو يزعم أنه يرد على الشبهات، وهو كلامه هراء طبعًا لو وجدته وتفطّنت إلى كلامه، طبعًا بقراءة الكتب بصفة خاصة التي تتكلم عن هذه الفرقة وخاصة كتب الدكتور محمد محمد حسين، من الكتب العظيمة (الإسلام والحضارة الغربية) وكتاب (حصوننا مهددة من داخلها) وكتاب (تاريخ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، وكتب أيضًا الأستاذ أنور الجندي كتب عظيمة في هذا الشأن، أنا أقول كتب الأستاذ أنور الجندي في

هذه الناحية الفكرية فقط، فهذه كتبه (الأقلام والصحافة المسمومة) وكتبه عن (اليقظة الإسلامية) ردًا على الكتب التي ظهرت اليقظة العربية، يعني هناك كثير من الكتب، وهناك كتاب عظيم الشأن بصراحة من أحلى الكتب للدكتور عمر فروخ وكتاب دكتور مصطفى خالدي هو (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) وهو كتاب قيم جدًا تكلم عن تاريخ التغلغل التّبشيري والتّدميري، وهو مصاحب لما يسمى فكرة إنشاء مثل هذه القوميات؛ القومية العربية. وهناك كتب كثيرة، الدكتور حازم نسيبة وغيره كتبوا عن القومية العربية.

أما قصة هذه التي رمتني بدائها وانسلّت، التي يقول أن الذي يحارب القومية هو تمسك بالرجعية هذا حديث خرافة كما يقولون، وهذا رمتني بدائها وانسلت؛ فإن الإسلام يهدم أي رابطة تحل محل ولاء هذا الدين، وانظر إلى قول الله تعالى لنبيه: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، بل إن الله – سبحانه وتعالى– يقول له: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}؛ انظر إلى قوله "لا شريك له"، يعني إن المسلم صلاته نسكه عبادته حياته كلها لله، هذا لا يفهمه هذا القومي الذي يمجّد عبادات بالية وأصنام لم تحقق له حتى نصرًا، يعني حتى لو أخذناها بالمكسب والخسارة من الناحية المادية هم دائمًا خاسرون، نحن عندنا تاريخ عظيم عريض على مدار أقل شيء ١٢ قرنًا مملوء بصحائف من ضياء وهناك مصابيح في سماء التاريخ أضاءت هذه الظلمات في تاريخ البشرية. هاتوا لنا نجمًا واحدًا من نجوم سماءكم الملبّدة بغيوم القهر والذل، هاتوا لنا نجمًا واحدًا أضاء، هم عبارة عن مجموعة من المنهزمين ومن الذين فرّقوا دينهم شيعًا هؤلاء.

نلنا في الإسلام منظومة متكاملة، نتعامل مع غير أهل الدين لهم قانونهم من الناحية الإسلامية هم يُسمَّون أهل الذمة، وهؤلاء المولودين حتى في البلاد لهم قانون خاص بأحكامهم، بالعكس هؤلاء لم يطالبوا يومًا ولم يتمرّدوا إلا لما مسك القوميون الحكم وإلا لما تربّع القوميون الحكم، هؤلاء النصارى كانوا يعيشون في أمان مع المسلمين، وكانت لهم ديانتهم ومعابدهم وكنائسهم، واليهود كانوا في عز أيام الإسلام، والذي انتشلهم من ذل النصارى لهم وذبحهم، كانوا يعملون في المسابخ والزبالات وغير ذلك، دخل المسلمون الأندلس فانتشلوهم.

حتى لما حدثت فتنة الأندلس في محاكم التفتيش المسلمون أخذوهم معهم وهرّبوهم معهم، هؤلاء لا ينظرون إلى هذه الأيادي البيضاء التي كانت تنعم عليهم، هارون الرشيد كان طبيبه الخاص كبير الأطباء "بختشيوع" وكان رجلًا نصرانيًا، ابن ميمون كان طبيب صلاح الدين الأيوبي، الإسلام من ناحية العلم الناس تستفيد ويأخذون درجاتهم من الناحية العلمية وخاصة في التخصصات التي يتعلم منها المسلم، كانوا يعيشون في عزة.

لما جعلوا ولاءهم لهذا المستعمِر الذي يريد يخرّب ماذا فعلوا؟ انظر في حرب ٥٦ نعطيها مثالًا، العدوان الثلاثي، ما يُسمى بمهزلة العدوان الثلاثي التي صورها إعلام القومية العربية وبطل الناصريّة سماها انتصارًا على ثلاث دول، يعني شيء يُضحك حتى من الناحية التاريخية!، انظر ماذا حدث، لما نزل الجنود الفرنسين والبريطانيين لما دخلوا في مدن القناة كان هناك سبعون ضابطًا مسيحيًا موجودين في هذه الفترة، لما ضُيّق الحصار رفعوا الراية البيضاء وسلموا أنفسهم للجنود الفرنسيين وقالوا لهم نحن مسيحيون مثلكم لماذا تقاتلوننا نحن معكم، وفعلًا أمنوهم ودخلوا معهم، أين هذا الوطن الذي يدافعون عنه؟! لو أن المسألة تقولون نحن أبناء وطن واحد فلماذا تخليتم عن أبناء الوطن الآخرين؟ وهنا ظهر ولاء الدين، انظر قالوا لهم نحن مسيحيون مثلكم وتركوا، هذه كانت فضيحة كبرى، ولكن طبعًا الإعلام المصري والقومي والعربي لا يبرز مثل هذه المصائب؛ لأنها طبعًا ستكون ضد المشروع القومي الخاص بهم، ولكن لما احتكّوا وكانوا عند المحك قالوا نحن مسيحيون وهنا ولاء الدين ظهر.

إذًا لماذا تعيبون على الإسلام؟ الدين هو أبو الولاء، أما غير ذلك فهذا التاريخ الإسلامي مملوء، لو أن المسائل عصبيات ما فعل الصحابة هكذا، ولما كان ذلك في الحروب، ولما قتل الصحابي أباه، ولما قتل هذا خاله وما هجر هذا أمه، وأنتم هذا التاريخ تعلمونه جيدًا، ولكن هذه دعوة ناقصة وكاذبة، فاستمسك بدينك أيها الأخ الكريم.

❁❁❁

جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم شيخنا، ونرجو المعذرة إن كنا قد أطلنا عليكم وعلى إخواننا المستمعين والمستمعات سواء في المسجد أو في الإذاعة، والحقيقة المجلس لا يُملّ، لكن ربما شققنا على إخواننا فأطلنا عليهم، وعادة اللقاء يكون ساعة والآن ما شاء الله ساعتين إلا ربع، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعل ذلك في ميزان حسناتكم، وأن ييسر لنا معكم لقاءً آخر.

****

كان هذا لقاء الجالية الإسلامية باستراليا عبر الهاتف مع فضيلة الشيخ الدكتور هاني السباعي عام ٢٠٠٠